

Bible Study

The Epistle of St. Paul to the Romans

رسالة معلمنا بولس الرسول إلي أهل رومية

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة إلى أهل رومية

الاصحاح الثاني: إدانة الآخرين

"لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين، لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها. ونحن نعلم ان دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه. أفطن هذا أيها الإنسان الذي تدين الذين يفعلون مثل هذه وأنت تفعلها أنك تنجو من

دينونة الله؟" [3-1]

- يعالج القديس بولس موضوع اعتداد اليهودي بنفسه لأنه مستلم الناموس دون سواه من بقية الأمم، ولم يدرك أن الناموس هو مرآة تفضح الخطية وتكشف عن الضعف. للأسف بدلاً من أن يستخدمه اليهودي لاكتشاف ضعفاته، فيصرخ إلى الله بالتوبة، تقسى قلبه مستخدماً الناموس لفضح خطايا الآخرين.

- بدلاً من أن يقوده الناموس إلى التوبة، اغتصب مركز الديان وأقام نفسه لمحاكمة وإدانة الآخرين، تحت دعوى معرفة إرادة الله ومشيبته.

الرسالة إلى أهل رومية

- إدانة الآخرين هي في ذاتها إعلان عن التعب الداخلي، كما فعل اليهود عندما أمسكوا بالزانية فأرادوا أن يتشفوا فيها بجرمها، أما الديان فستر عليها بحبه، لكنه لم يتركها في خطيتها، إنما خلال محبته الحازمة أوصاها: **"ولا أنا أدينك، أذهبي ولا تخطيء أيضاً"**.

- هكذا لا توجد مقارنة بين تصرف الإنسان الذي يدين أخاه مع أنه مشترك معه في الضعفات، وبين حكم الله الذي يطيل آتاه علينا، لعلنا نتوب فننجو من الدينونة.

- إذ نقيم أنفسنا ديانين للآخرين مشتركون معهم في الضعف، نحكم على أنفسنا بأنفسنا خلال حكمنا على الغير، إذ يقول: **"لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين، لأنك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها"** [1].

الرسالة إلى أهل رومية

- بحكمك على أخيك ليس فقط تحكم على نفسك بذات تصرفك، وإنما غالباً ما تخطئ أنت في الحكم، لأنك تحكم حسب الظاهر ولا تعرف أعماق الآخرين ودوافعهم، أما الله فيحكم عليك بحق، لأنه عالم بكل أسرارك. يعني أنه حتى أن حسبت نفسك أبرّ من أخيك فتحكم عليه وتدينه، فغالباً ما يكون هذا الحكم ظالماً، أما الله فهو وحده يدين البشر عن حق، إذ يقول: **"ونحن نعلم أن دينونة الله هي حسب الحق على الذين يفعلون مثل هذه"** [2].

هذا وقد أبرز القديس بولس سمات دينونة الله التي تختلف تماماً عن إدانتنا نحن للآخرين، ألا وهي:

1. أنها **"حسب الحق"** [2]، لأنه هو **"الحق"** عينه.

الرسالة إلى أهل رومية

2. أنه لا يؤدّ العقوبة، إنما في غنى لطفه وإمهاله وطول أناته يؤدّ أن "يقتادك إلى التوبة" [4].
3. إنها عادلة [5].
4. "سيجازي كل واحد حسب أعماله" [6].
5. بدون محاباة [11].
6. ليست حسب ما يعرفه ويسمعه الإنسان بل حسب ما يعمله ويحياه [13].
7. أنه يدين الأعماق الداخليّة للضمير والفكر، أي سرائر الناس [15-16].
8. حسب حقيقة الإنسان الداخلي، لا مظهره كمتدين أو كمعلم [17-29].

الرسالة إلى أهل رومية

"أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة،

الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله" [4 - 6]

- أخطأ اليهود، خاصة قاداتهم من الكتبة والفريسيين أولاً بتحويل الناموس لا إلى مجال للحياة والعمل الروحي، وإنما لنقد الناس وإدانتهم بروح الكبرياء، وثانياً بكونهم إذ أدركوا لطف الله وطول أناته أساءوا استخدام هذه المعرفة.
- بمعنى آخر بينما هم يقسون على الآخرين ويدينونهم، إذا بهم يستهينون بحب الله وصلاحه. لكن طول أناة الله علينا بالرغم من تسرعنا نحن في الحكم على الآخرين لا يعني إغفاننا من العقاب، إنما حفظه للوقت المعين.

الرسالة إلى أهل رومية

- إن كان الله هو الديان، لكننا نحن الذين "نذخر لأنفسنا غضباً" إذ يريد الله الرحمة مقدماً كل وسيلة لعلنا نقتنيها، أما الإنسان غير التائب فيحفظ لنفسه الغضب.
- قوله **"تذخر لنفسك غضباً"**، يعني أن الدينونة لا تصدر عن الديان إنما هي نتيجة لعمل الخاطيء، إذ لا يقول "يذخر الله لك" وإنما **"تذخر لنفسك"**.
- الله يحاول اجتذابك بكل وسيلة، فإن ظللت على عنادك تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة.
- ولكن لا يتبادر إلى ذهنك أن غضبه انفعال عنيف إنما هو العدالة، هو "استعلان"، حيث ينال كل إنسان ما يستحقه.

الرسالة إلى أهل رومية

"وأما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة الأبدية، وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون لللاثم فسخط وغضب. شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر، اليهودي أولاً ثم اليوناني. مجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح، اليهودي أولاً ثم اليوناني" [7-10]

- إذ يتحدث عن دينونة الله للبشر يبدأ أولاً بالحديث عن الصالحين الذين يكافئون بالحياة الأبدية، وبعد ذلك يتحدث عن الذين يسقطون تحت الغضب. كأن الله يود أن يتمتع الكل بنوال الحياة الأبدية خلال صبرهم في العمل الصالح، فينالون مجداً وكرامة وخلوداً مع سلام أبدي، لذلك بدأ بهذه الفئة، أما الفئة الثانية التي تسقط تحت السخط والغضب التي تن من الشدة والضيق فهي تحكم على نفسها بهذا خلال إطاعتها لللاثم، الأمر الذي يود الله ألا يسقط أحد تحته.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأن ليس عند الله محاباة" [11]

- يؤكّد القديس بولس أن الله في حكمه لا يحابي، فإن كان يكافئ اليهودي أولاً سواء في الخير أو الشرّ، فلأن الله يدين بالأكثر من نال معرفة أوفر أو احتمل مركز القيادة والخدمة.

- يكون عقابنا أشد كلما ازددنا في الحكمة والسلطان، فإن كنت غنياً يُطلب منك العطاء أكثر من الفقراء، وإن كنت صاحب حكمة أوفر يجب عليك الطاعة أكثر من غيرك، وإن نلت سلطاناً يجب عليك تقديم أعمال أكثر بهاءً.
- المحاباة هي من سمات البشر، الذين ينحرفون عن الحق في الحكم مراعاة للحسب أو النسب أو الغني أو للمنفعة، إذ يقول الكتاب:

"لا ترتكبوا جوراً في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير.

بالعدل تحكم لقريبك" (لاويين 19: 15)

"لأن الرب الهكم هو إله الآهة ورب الأرباب، إله العظيم الجبار المهيب الذي لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة" (تثنية 10: 17)

الرسالة إلى أهل رومية

"وأنتم أيها السادة افعلوا لهم هذه الامور تاركين التهديد عالمين ان سيدكم أنتم أيضاً في السماوات وليس عنده محاباة"
(أفسس 6: 9)

"وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة" (كولوسي 3: 25)
"يا اخوتي لا يكن لكم إيمان ربنا يسوع المسيح، رب المجد، في المحاباة" (يعقوب 2: 1)

"يحابون بالوجوه من أجل المنفعة" (يهوذا 16)

وقد ظهر عدم محاباة الله على الصليب، إذ:

"هكذا أحب الله العالم (بلا محاباة) حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3: 16)

الرسالة إلى أهل رومية

"لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك، وكل من أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان" [12]

- تحوّل الناموس في حياة اليهود عن غايته الإلهية، فعوض أن يكون علة إدراكهم لخطاياهم وشعورهم بالحاجة إلى عمل الله الخلاصي، تحوّل إلى تشامخ وكبرياء بأنهم عارفو الحق ومعلموه، فصاروا ديّاتين للأمم، الأمر الذي أسقطهم تحت دينونة الله.

- الناموس ليس مجالاً للافتخار بل للعمل، فإن كان الناموس يهب معرفة لوصية الله وإرادته، يلتزم أصحاب الناموس أن يمارسوا الوصية، وإلا سقطوا بالناموس تحت الدينونة، فيصيروا ليس كالأمم الذين يخطئون بدون الناموس فيهلكون وإنما أشر منهم لأنهم يخطئون بمعرفة وهم تحت الناموس.

الرسالة إلى أهل رومية

"لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله، بل الذين يعملون بالناموس هم يبرّرون" [13]

- من يُخطي في الناموس تكون عقوبته أشد، لأن الناموس أو المعرفة تشهد عليه في يوم الدين، لذلك فالناموس لا يبرّر الإنسان لمجرد سماعه أو حفظه، وإنما بتنفيذه كله، الأمر الذي يحسب مستحيلاً على البشر.

- "ليس...هم أبرار عند الله": كثيرين يسمعون الناموس ويتلونه على لسانهم فيتبرّرون أمام الناس كمتديّنين، لكن الله لا يدين الإنسان حسب مظهره، إنما حسب برّ قلبه الداخلي. فبسمعنا للوصية يمكننا أن نخدع إخوتنا وربما أنفسنا، لكن هل نقدر أن نتبرّر أمام الله؟

الرسالة إلى أهل رومية

"لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم، شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح" [16-14]

- يؤكد القديس بولس أنه لا يرفض الناموس، لكن بسببه يبزر الأمم، مظهرًا أنهم أفضل من اليهود، بل يمتازون عنهم بعملهم الصلاح، مع أنهم لم يأخذوا الناموس الذي يتشامخ به اليهود. في هذا كان الأمم جديرين بالإعجاب، لأنهم تمّموا صلاح الناموس بأعمالهم لا بكلمات سمعوها.
- قوله "يدين الله سرائر الناس" وليس "خطايا الناس"، تحذر أنه ليس في مقدورهم الهروب من دينونة الله. فإن كان الناس يقيمون القضاء لمحاكمة الأعمال العننية، فالله يدين السرائر.

الرسالة إلى أهل رومية

- ربما المقصود بالأمم الذين ارتفعوا بحياتهم مع الله، فوق اليهود، هم الآباء السابقون قبل استلام الناموس الموسوي على يد موسى مثل إبراهيم وأيوب ويوسف، حيث آمن إبراهيم بالله وعاش طبقاً لوصاياه فاختره الله، وقرب أيوب عن بنيه ذبائح، خشية أن يكون أحدهم قد نطق بكلمة باطلة، أو أضمر في داخله ما يغضب الله (أيوب 1: 5)، ويوسف مارس حياة الطهارة ممتنعاً عن الشرّ لئلا يخطئ قدام الرب (تكوين 39: 9).

- هؤلاء عملوا بالطبيعة ما بالناموس ولم يحتاجوا إلى ناموس مكتوب، إذ لم يدعوا نياتهم تبكّتهم بل عملوا بما توجبه من الصلاح، وتركوا ما تنكره من القبائح، وهم في هذا ليسوا مثلنا نحن الذين تبكّتنا نياتنا وكتبتنا.

الرسالة إلى أهل رومية

- "أفكارهم مشتكية" [15]، تعني أن أفكارهم توبّخهم إن فعلوا أمراً غير حسن، إذ كانت تقوم مقام الناموس.
- وهذه العبارة تؤكد سلطان الإنسان على فكره، وإلا ما كانت أفكارنا وضمائرنا تشتكي علينا.
- "حسب إنجيلي" [16]، يعني أن كل ما كرز به القديس بولس وما قاله هو البشارة الحسنة **good news** "الإنجيل"، وما كرز به وما قاله كان أيضاً في حكم المكتوب؛ وما كتبه كان إنجيلاً. وإن كان ما كتبه بولس إنجيلاً، فإن ما كتبه بطرس أيضاً هو إنجيل.
- فكل ما قيل أو كُتب بالآباء الرسل هو كرازة بتجسد السيد المسيح من أجل خلاصنا، ويهيئ لمجيئه الثاني أو ليقدم ذلك كحقيقة قائمة في تلك النفوس التي تريد أن تتقبل كلمة الله الواقف على الباب يقرع ويطلب أن يدخل فيها.

الرسالة إلى أهل رومية

- "هوذا انت تسمى يهودياً وتتكلم على الناموس وتفتخر بالله. وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلماً من الناموس. وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين في الظلمة. ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ولك صورة العلم والحق في الناموس" [17 - 20]
- يوبخ اليهود الذين يظنون أن عطية الله في حبه لهم واعطاءهم ناموسه تجعلهم مكرمين فوق جميع الناس فيتشامخوا على الآخرين ويزدروا بهم. هذا الأمر جعلهم أيضاً ينسون خلاصهم لاشتغالهم بجنون شهوتهم وراء المجد.
- "تثق أنك قائد للعميان"، ولم يقل: "أنت قائد" تعني أنك تنتفخ وتتكاير، وهذا لأن كبرياء اليهود كان متشامخاً جداً.

الرسالة إلى أهل رومية

- لنذكر قولهم للمولود أعمى:
"في الخطايا وُلدتِ أنتِ بجُمُلكِ وأنتِ تعلمنا" (يوحنا 9: 34)

- بهذا الاستخفاف المتعالي كانوا يتطّلعون إلى جميع الناس.

- يستخدم القديس بولس ذات كلماتهم: "قائد للعميان، ونور للذين في الظلمة، ومهدّب للأغبياء، ومعلم للأطفال"، الألفاظ التي كان اليهود يطلقونها على من يتلمذون لهم.

- تكراره هنا للعبارات هدفه أن يدركوا أن ما زعموه ميزة يفتخرون به هو علة دينونتهم بالأكثر.

الرسالة إلى أهل رومية

"فأنتِ إذن الذي تعلم غيرك، ألسنت تعلم نفسك؟ الذي تركز ألا يُسرق، ألسرق؟ الذي تقول أن لا يُزنى، أترني؟ الذي تستكره الأوثان، ألسرق الهياكل؟ الذي تفتخر بالناموس، أبتعدني الناموس تهين الله؟" [23-21]

- لا يقف القديس بولس عند استخدام تعبيراتهم ذاتها لتوبيخهم، لأنهم احتلّوا مركز المعلمين للعالم الوثني وهم لا يمارسون شيئاً ممّا يعَلّمون به، وإنما انتقل بهم إلى اتهامهم أنهم يهينون الله نفسه الذي يظنون أنهم يعَلّمون الآخرين عنه.

- اهتم معلمو اليهود بالوعظ دون الحياة، ففقدت الكلمة قوتها.

الرسالة إلى أهل رومية

- ولكي يظهر اهتمامه بالتطبيق العملي للتعليم، يحث القديس بولس تلميذه تيموثاوس قائلاً:

"كن قدوة للمؤمنين في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الروح، في الإيمان، في الطهارة. إلى أن أجيء أعكف على القراءة والوعظ والتعليم. لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع ايدي المشيخة (كهنوت presbyter). اهتم بهذا. كن فيه لكي يكون تقدمك ظاهراً في كل شيء. لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إذا فعلت هذا تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً" (1 تيموثاوس 4: 12 - 16)

الرسالة إلى أهل رومية

"لأن اسم الله يجذف عليه بسببكم بين الأمم" [24]

فاليهود لا يهينوا الله فحسب، بل يدفعون الآخرين على ذلك ويدفعونهم إلى التجديف بسبب عصياتهم والفهم الخاطئ لوصايا الله:

"ولا تدنسوا اسمي القدوس فأتقدس في وسط بني اسرائيل انا الرب مقدسكم" (لاويين 22: 32)

"فالآن ماذا لي هنا، يقول الرب، حتى اخذ شعبي مجاناً. المتسلطون عليه يصيحون، يقول الرب. ودائماً كل يوم اسمي بهان" (أشعيا 52: 5)

"فلما جاءوا الى الأمم حيث جاءوا نجسوا اسمي القدوس اذ قالوا لهم هؤلاء شعب الرب وقد خرجوا من أرضه" (حزقيال 36: 20)

الرسالة إلى أهل رومية

- ولكي لا نسقط نحن في ذات هذا الخطأ علمنا ربنا يسوع أن نصلي قائلين: "ليقدس اسمك"، فإنه لا يوجد حل وسط إما أن يتقدس اسم الله فينا، أو يُجَدَّف عليه بسببنا.

- اسم الله قدوس بطبيعته، قلنا أو لم نقل، لكنه أحياناً يتدنس بين الخطاة. لذلك نصلي أن يتقدس اسم الله، لا بأن يصير مقدساً، كما لو كان غير مقدس، وإنما أن يتقدس فينا عندما نتقدس نحن ونعمل ما يليق بالقداسة.

- لهذا يجب علي اليهودي في تعليمه الأممي أن ينزعه من الغرلة لينقله إلى الختان، ومن إنسان بلا ناموس إلى إنسان تحت الناموس، أي أن نعيش لله ونعمل بوصاياه قولاً وعملاً.

الرسالة إلى أهل رومية

"فإن الختان ينفع أن عملت بالناموس، ولكن أن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة. إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس، أفما تُحسب غرلته ختانياً؟ وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس؟ لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانياً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان، الذي مدحه ليس من الناس بل من

الله" [29-25]

هنا يكشف القديس بولس عن نوعين من الختان، ونوعين من الغرلة، ونوعين من الناموس. فاليهودي يهتم بنزع غرلة الجسد لا الروح، وممارسة ختان الجسد لا الروح والاستماع للناموس والفخر به دون الحياة به عملياً.

الرسالة إلى أهل رومية

- اليهودي يهتم بالجسد والمظهر الخارجي في حياته وأيضاً في تعليمه للأمم، لذلك أراد أن يكشف عن حقيقة أمرهم أنهم غير مختونين بالروح، ولا متمتعين بالناموس روحياً، إنما يعيشون في عُزلة روحية رغم ختانهم بالجسد.

- بهذا لم يقلل من شأن الختان، ولا أعطى للعزلة امتيازاً على الختان، إنما أوضح أن مختون الجسد قد يكون في عُزلة من جهة الروح، وأيضاً من في عُزلة الجسد قد يكون مختوناً في الداخل روحياً، وهكذا قد يصبح الختان عُزلة، والعزلة ختاناً.

الرسالة إلى أهل رومية

- يرى العلامة أوريجانوس في تعليقاته على إنجيل متي أن هذا النص الرسولي يود أن يوضح أن اليهودي الحقيقي، ليس حسب الجنس، وإنما بالروح كرجل الله، هو ذاك الذي ينتسب للسيد المسيح، إذ يقول أن كلمة "يهود" جاءت منتسبة ليهوذا بن يعقوب، لكنها الآن بالروح تخص من ينتسب لذاك الذي تجسد من سبط يهوذا. هذا هو اليهودي في الخفاء الذي له ختان القلب بالروح.

- بنفس المعنى يقول القديس اغريغوريوس الكبير: الآن أسأل: ما هو إسرائيل اليوم؟ يجب بولس الرسول: الذين يسلكون بالروح لا بالحرف، يسلكون في ناموس السيد المسيح، هم إسرائيل الله.

الرسالة إلى أهل رومية

- كيف يصير الإنسان في عُزلة بعد أن يُختتن؟ يقول القديس بولس: ليته لا يكون هكذا، ليته لا يعيش كما لو كان أَعْلَف، أي كما لو كان قد اكتسى مرة أخرى باللحم الذي قُطع منه، فلم يعد يهودياً.

- يتفق هذا مع قوله:

"دُعي أحد وهو مختون فلا يصر أَعْلَف. دعي أحد في الغرلة فلا يختتن. ليس الختان شيئاً وليست الغرلة شيئاً، بل حفظ وصايا الله"
(1 كورنثوس 7: 18)

- أي إن كان يهودياً ودُعي مختوناً، فليته لا يشاء أن يصير أَعْلَف، أي لا يعيش كمن هو ليس مختوناً.

الرسالة إلى أهل رومية

- وقد سبق فتحدث ارميا النبي بوضوح عن ختان القلب:

"اختتنوا للرب وانزعوا غرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان
أورشليم لنلا يخرج كنار غيظي فيحرق وليس من يطفئ
بسبب شر أعمالكم" (ارميا 4: 4)

- عندما يخطئ اليهودي يصير ختانه عُزلة، وعندما يعمل الأممي باستقامة تُحسب غرلته ختانياً. فالأمور التي يظن أنها طاهرة تُحسب دنسة بالنسبة لمن لا يستخدمها بلياقة.

الرسالة إلى أهل رومية

- أما سمة اليهودي الروحي أو إسرائيل الجديد فهي: "الذي مدَّحه ليس من الناس بل من الله" [29].
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:
لست أمنعك من شهوة المجد، إنما أريك المجد الحقيقي النابع عن الله... لنكن أنقياء في الخفاء، لا أن نتثقل بالاستعراضات والمظاهر والرياء.
- لنخلع بالأحرى ثياب الحملان، ولنكن بالحقيقة حملان، ليس شيء أتفه من المجد البشري.
- أن رأيت أطفالاً صغاراً رُضِعَ، فهل تشتتهي مجداً منهم؟ هذا هو الحادث بالنسبة لكل البشر بخصوص المجد، لهذا دُعي "المجد الباطل".

